شيء جديد

قصة بقلم دريني الأمير

نظرت الى ساعتها ، وكانت تشير الى الثامنة الا ثلثا، ستنتظر خمس دقائق قبل ان تترك البيت ، فموعد خروجها اليومي هو الثامنه الا ربعا . وحين تصل مدرستها في الثامنه ستدخل غرفه المدرسات وتتطلع الى المراه الكبيره المعلقه عند مدخل الغرفه ، ستنظر فيها وترى شعرها في حاجة الى تمشيط ، وحين تنتهي من تمشيطه ستقول : ان شعري لايريد ان يترتب اليوم . وسترد بقية المدرسات . انه مرتب كالعاده هي تدري انها كذبت حين قالت انه غير مرتب وانهن كذبن حين قلن انه مرتب كالعادة .

سيدق جرس المدرسة في الثامنة وخمس دقائق وسيصطف التلاميذ الصغار ينشدون نشيدا حماسيا ويزعقون باقصى مايستطيعون ليدلوا على انهم مواطنون صالحون وعمر دبيرهم لايتجاوز السنوات العشر . وفي الثامنة وعشر دقائق سيدخل الصغار صفوفهم الاربعه وتلحق بهم المدرسات ، وصفها هي كالعادة هو الاول الابتدائي ، فقد اختارت ذاك الصف حين كانت بعد تلميذة في الصف المنتهي من دار المعلمات ، وكان عليها كزميلاتها الاخريات ان تقضي فترة شهر في التدريس تطبق فيه النظريات التربويه التي درستها . واختارت الصف الاول لا لانها تحب الصغار ولكنها اعتقدت ان الصغار لا يحتاجون كبير اجهاد لضبطهم . واجادت التدريس وحصلت على أعلى معدل في درس التطبيق . ولا تزال تذكر تماما يوم دخل صفها مدرس التربيه ليشاهد تدريسها . لم ترتبك يومها ، فقد كان عندها ثقة في نفسها كبيرة ، واستمرت في التدريس وعيون الصغار معلقة بها ، تتلفت كيفما تلفتت هي ، وترتفع اذا رفعت هي يدها ، وتهبط اذا انزلتها . لقد استطاعت ان تستملك قلوب الصغار . واعجب استاذها بمقدرتها السريعة تلك على ترغيب الصغار في الدرس فلم تره الا وهو يمد يده يصافحها ، وصفق الصغار ، فقد عرفوا ان مدرستهم الجديدة نالت رضى استاذها . لم تدر يومئذ كيف احس الصغار بكل هذا ، فقد كانت تظنهم يجهلون انها تلميذة مثلهم وان هناك من سيحاسبها على تدريسها . ولكن يظهر ان هذا الجيل من النشء الجديد تفتح كثيرا . كانت تسمي ذاك الجيل جيلا جديدا ، ماتراها تسميه الان وقد مر على تخرجه من المدرسة ثلاثون سنة بالتمام ؟؟ وتتذكر ولا تريد ان تنسى كيف ان ذاك الصف بكى حين انتهى الشهر وعادت الى مدرستها تلميذة . لقد احبها الصغار وفضلوها على مدرستهم الاصلية وقرروا ان يهدوها شيئا يعبر لها عن محبتهم ، فكان ان اهدوها دفترا لحفظ الصور صدروه بصورة لها مع تلاميذ الصف . واصبح معتادا لديها بعد ذاك ان تلتقط مع كل صف ينتقل من السنة الاولى الى الثانية صورة تلصقها على الصفحة التالية من الدفتر .

وتجمع لديها بعد ثلاثين سنة عدد من الدفاتر . وطالما تصفحت ماتضمه هذه الدفاتر من صور ، كم ضحكت وهي تتأمل صورا لبعض الأطفال وقد اصبحوا الان رجالا ونساء اكثرهم متزوج ومنهم من زوج اولاده . ولكنها كانت لاتضحك ابدا حين تنتقل بين صورها هي من صفحة الى صفحة . . لو قال لها احد ان شكلها سيتغير هكذا ، اتراها كانت تصدقه ؟ اكانت تصدق ان ذاك القوام والوجه المتفائل الضاحك سيصبحان على ما هما عليه الان ؟ بالفعل الزمن !! وامانيها وطموحها وترحيبها بالحياة ؟ هذا الذي لم تسجل الصور ماطرأ عليه من تغيير وتبديل ، اتراها كانت تصدق ان يوما سيأتي تعيش فيه لاجل تلاميذها ولاجلهم فقط ، وتنسى نفسها تماما لانها تريد ان تنساها ؟؟ وما فائدة ان تتذكر حياة تتعاقب فيها الايام ، وكانها يوم واحد يتكرر ؟

كانت تظن ان الحياة تنتظر يوم تخرجها من المدرسة لتفتح لها ذراعيها تستقبلها ، وها قد مرت ثلاثون سنة ولم تفتح الحياة ذراعيها ، وكذلك لم يفعل احد من الناس .

وتطلعت الى ساعتها ، انها الثامنة الا عشر دقائق ، لقد اضاع التفكير في هذه الذكريات خمس دقائق من برنامجها اليومي . . ستتأخر او عليها ان تسرع . . ولكن لابأس ، فهذا شيء جديد وهي لم تمر على جديد منذ سنوات . .

منذ ان اكتشفت انها تسير الى البدانة وفكرت ان تنقص من كمية الاكل او تغير نوعه لتخفيف وزنها . جربت ذاك لمدة اسبوع فأحست بانها فقدت شيئا مهما من اللذة وعلى الاصح فقدت اللذة الوحيدة المتبقية لها . فقررت ان تعود الى برنامج الاكل السابق وتلجأ الى المشي الى المدرسة يوميا بدل ركوب السيارة .

وجدت في هذا القرار متعة ، فالسير ينشطها ويزيل كثيرا من همومها التي اعتادت ان تتجمع لديها فترة الصباح .

وفي طريقها اليومي الى المدرسة ومنها تعرفت على عدد من الاصدقاء والصديقات كما احبت هي ان تسميهم ، مع انها لم تكلم احدا منهم . كانت تدري متى ستلقى هذا الصديق واين ستلقى تلك . كان البعض منهم دقيقا في موعد مروره بحيث انها كانت تضبط ساعة يدها على لحظة رؤيته .

ولا تزال تتذكر انها كانت تمر بفتاة كل يوم في الثامنة الا خمس دقائق تقريبا في منعطف الطريق ، ثم غابت تلك الفتاة سبعة ايام . احست يومها انها قلقة لغياب تلك الصديقة ، وكم تمنت لو تعرف اسمها او بيتها لتسأل عنها ، ولكن الفتاة عادت الى الظهور في اليوم الثامن ترتدي السواد . ارادت يومئذ ان توقفها لتعزيها وتطيب خاطرها ولكنها لم تفعل ، فكم من الامور فكرت فيها وصممت على القيام بها ، ثم اكتفت بها لنفسها . فكرت اليوم في تلك الصديقة ، لقد غابت نهائيا عن ناظرها بعد بضعة اشهر من حادث ارتدائها ثياب الحداد . اين تراها اليوم ؟ لاشك ان ثوبها قد ابيض ولكن قلبها . . ترى ما لونه ؟ اتراه قد ابيض هو الاخر ام ان الذي فقدته كان عزيزا كثيرا ترك قلبها اسود مدى الحياة ؟؟

وفي طريقها كانت تمر على بيوت ومتاجر . تتطلع الى بعضها باعجاب ، فبعض البيوت تضم ساكنين سعداء . كان يوحي لها بذلك جدار البيت المرتفع المغطى بالنباتات المتسلقة ، اذ يخيل لها ان اصحاب ذاك البيت علوا جدار حديقتهم لانهم مستغنون عن العالم الخارجي ، انهم مكتفون بالبيت وبمن فيه .

وكانت ترثي لسكان البيت ذي الشرفات الظاهرة المنفتحة على الطريق ، ان سكان ذاك البيت يبحثون عن السعادة في الخارج ، في الطريق . وبيتها ! ترى مايقول

دموع الإله

— ١ —
شتاؤنا تنام في عروقه الدماء
وبذرة الرجاء في شتائنا تموت .
قلوبنا تحلم بالربيع ..
تستنزف الاحلام دفقة النجيع
وقطره .. فقطره تستنزف السماء
ما خبأ الاله في غيومها من الدموع !
فتنشد الدموع للثرى الحزين
انشودة الميلاد في غد الربيع :
« يا ايها الثرى لقد بكى الاله !
وكل قطرة من الدموع سوف تبعث الحياه ! »

— ٢ —
شتاؤنا تنام في عروقه الدماء .
مجامر النيران في بيوتنا تعج بالصقيع
وليس في الاثداء مايمصه الرضيع
وشمسنا مظلمة الضياء
وليس في بيوتنا شموع !
نجوس في الظلام كي نبحث عن نفل ..
لكننا نعود ، والقلوب ..
خاوية بلا امل !
نبكي بلا دموع
نبكي وومضه الرجاء في عيوننا تموت
والصمت والظلام عنكبوت
ينسج ظله على البيوت !

— ٣ —
شتاؤنا ترنيمة حزينة الصدى
تموت في مسامع الرضيع كي ينام ..
تنثرها في هداه الظلام ..
ام يهدهد النعاس جفنها الثقيل ..
والليل متعب طويل ..
يمتاح من عيونها الندى ...
ليطفيء الجذوة في فؤادها العليل
يهدهد النعاس جفنها الثقيل ..
تنام في ذهول ..
وطفلها الرضيع لاينام ..
ورعشة الشتاء تغمر العظام :

— ٤ —
شتاؤنا ترنيمه حزينة الصدى ..
تطير عبر فسحة الجدار
تصل في قلوبنا الى القرار
لترعش الحياة والردى ..
والليل والنهار ..
دروبنا ملاعب الرياح
تصطفق الابواب في بيوتنا ..
وفي قلوبنا جراح
كانها منافذ الى الصباح
تخوي بها الرياح كي تستيقظ الدماء
فتشرق الضياء
وتلفظ الدماء حبة القلوب
نزرعها .. ونسأل الاله قطرة من المطر
فترعد السماء ، تبرق الغيوم بالشرر
وتنشد الامطار في الحقول :
« يا ايها الثرى .. لقد بكى الاله !
وكل قطرة من الدموع سوف تبعث الحياه ! »

بغداد **محمد عصفور**

الناس عن سكانه حين يمرون به ! لقد حاولت ان تحافظ على نظافه زجاج النوافذ وعلقت ستائر زاهية الالوان تركتها مسدلة اكثر الاوقات . كانت تحسب ان هذه بعض مظاهر البيت السعيد ففعلتها مادامت لاتستطيع ان تبني سورا عاليا حول بيتها وتجعل الزهور المتسلقة تملأه وتغطيه .

ومرت ثلاثون سنة ، الجديد الوحيد الذي حدث خلالها هو تراكم السنين . حتى اسماء تلاميذها كانت تتكرر كثيرا وهم كلهم في السابعة من عمرهم فهذه هي سن طلاب الصف الاول الابتدائي . طلبت مرة من مديرة المدرسة ان تجعلها تدرس غير الصف الاول ولكن طلبها رفض بحجة انها تجيد التدريس فيه اجادة سجلها لها المفتشون والمديرات . وكم تمنت ان لايثنى على تدريسها ليكون هناك جديد في حياتها . كانت تنتظر يوما يقال لها فيه انها مدرسة فاشلة ولكن ذاك اليوم لم يات . انها ناجحة في العطاء ، فاشلة في الاخذ .

كان هذا هو محور تفكيرها اليومي .. ليتها تجد شيئا جديدا تفكر فيه . انها تدري حين تبدأ التفكير اين ستصل واين ستقف .

وحين وصلت المدرسة ودخلت غرفة المدرسات تعمدت ان لاتنظر في المرآة ولكن لم تقل لها واحدة من المدرسات ان شعرها مرتب فاستفقدت هذا المديح الكاذب . دق الجرس واصطف الصغار وبداوا يزعقون منشدين ثم دخلوا صفوفهم . وخرجت من غرفة المدرسات لتلحق بتلاميذها وفي طريق خروجها تطلعت الى المرآة فرات شعرها مرتبا . ليتها قالت ان شعرها لا يريد ان يترتب .

ودخلت الصف واندمجت في التدريس ، وبينما هي تكرر بعض اصوات الحروف سمعت الطفل الجالس على الطاولة الامامية يتلعثم في ترديد الصوت . نظرت اليه ، ان سنه الامامية مكسورة . لقد حدث جديد !! وتطلعت الى من يجاوره فاذا سنه العليا مفقودة ايضا ! وادارت راسها بين الاطفال .. هذا ثالث ينقص فمه سن وذاك رابع وخامس ..

وتطلعت في وجوه الصغار واذا كل منهم ينقص فمه سن . اهذا جديد ؟! اهو جديد ؟؟ ثم تذكرت فجاة انهم في السنة السابعة من عمرهم في السن الذي يبدل فيه الصغار اسنانهم ..

هذا امر يحدث لكل تلاميذها منذ ثلاثين سنة ... ولكنها اكتشفته اليوم فقط .

ولكن . أليس جديدا ان تكتشف هذا القديم ؟؟

ديزي الامير